

25 - السيدة الرُبَيْع بنت النضر



أخت المجاهد الصادق

اسمها الرُبَيْع، والدها النضر بن ضمضم، وكانت تُكنى بأم حارثة، وكان لها أخوان: مالك بن النضر، وأنس بن النضر؛ أما مالك فكان زوج المؤمنة المبايعة المجاهدة أم سُلَيْم بنت ملحان، أنجبت له أنساً، والبراء، وقد فارقها زوجها لإصرارها على الإسلام، ثم قُتل كافراً، وأما أنس بن النضر فقد آمن، وخرج مجاهداً مع رسول الله ﷺ إلى أُحُد فسَطَّر صفحة رائعة من صفحات تاريخ الإسلام المجيدة، فقد أورد ابن جرير الطبري في تاريخه، عن القاسم بن عبد الرحمن بن رافع، أخي بني عدي بن النجار قال: انتهى أنس بن النضر عم أنس بن مالك إلى عمر بن الخطاب، وطلحة ابن عبيد الله في رجال من المهاجرين والأنصار، وقد ألقوا بأيديهم، فقال: ما يجلسكم هاهنا؟ قالوا: قد قُتل محمد رسول الله ﷺ، قال: فما تصنعون بالحياة بعده؟ قوموا فموتوا كراماً على ما مات عليه رسول الله ﷺ، ثم استقبل القوم فقاتل حتى قُتل؛ وبه سُمِّي أنس بن مالك⁽¹⁾.

حَدَّثَ مُحَمَّدُ بْنُ سَعِيدٍ الْخَزَاعِيُّ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الْأَعْلَى، عَنْ حُمَيْدٍ قَالَ: سَأَلْتُ أَنَسًا، قَالَ: وَحَدَّثَنَا عَمْرُو بْنُ زُرَّارَةَ، حَدَّثَنَا زِيَادٌ قَالَ: حَدَّثَنِي حُمَيْدُ الطَّوِيلُ، عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: غَابَ عَمِّي أَنَسُ بْنُ النَّضْرِ عَنْ قِتَالِ بَذْرِ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ غِثْ عَنْ أَوَّلِ قِتَالٍ قَاتَلْتُ الْمُشْرِكِينَ، لَيْتَنِي اللَّهُ أَشْهَدَنِي قِتَالِ الْمُشْرِكِينَ لَيَرَيْنَّ اللَّهَ مَا أَصْنَعُ، فَلَمَّا كَانَ يَوْمَ أُحُدٍ وَانْكَشَفَ الْمُسْلِمُونَ، قَالَ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَعْتَذِرُ إِلَيْكَ مِمَّا صَنَعْتُ هَؤُلَاءِ - يَعْنِي: أَصْحَابَهُ - وَأَبْرَأُ إِلَيْكَ

(1) تاريخ الطبري (517/2).

مِمَّا صَنَعَ هَؤُلَاءِ - يَعْنِي: الْمُشْرِكِينَ - ثُمَّ تَقَدَّمَ مُقَاتِلًا، فَاسْتَقْبَلَهُ سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ فَقَالَ: يَا سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ، الْحِجَّةُ وَرَبُّ النَّضْرِ، إِنِّي أَجِدُ رِيحَهَا مِنْ دُونِ أَحَدٍ قَالَ سَعْدٌ: فَمَا اسْتَطَعْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا صَنَعَ، قَالَ أَنَسُ: فَوَجَدْنَا بِهِ بَضْعًا وَثَمَانِينَ ضَرْبَةً بِالسِّيفِ، أَوْ طَعْنَةً بِرُمْحٍ، أَوْ رَمِيَّةً بِسَهْمٍ، وَوَجَدْنَاهُ قَدْ قُتِلَ، وَقَدْ مَثَلَ بِهِ الْمُشْرِكُونَ فَمَا عَرَفَهُ أَحَدٌ إِلَّا أُخْتُهُ الرُّبَيْعُ، عَرَفَتْهُ بِنَاتِهِ قَالَ أَنَسُ: كُنَّا نُرَى - أَوْ نَنْظُرُ - أَنَّ هَذِهِ الْآيَةَ نَزَلَتْ فِيهِ وَفِي أَشْبَاهِهِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ: ﴿مَنْ آمَنَ مِنْ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَلُوا تَبْدِيلًا﴾ (٢٣) لِيَجْزِيَ اللَّهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ إِنْ شَاءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُورًا رَحِيمًا ﴿٢٤﴾ [الأحزاب: 23، 24] (1).

وروى الإمام أحمد عن أَنَسٍ أَنَّ عَمَّهُ غَابَ عَنْ قِتَالِ بَذْرِ، فَقَالَ: غِبْتُ مِنْ أَوَّلِ قِتَالٍ قَاتَلَهُ النَّبِيُّ ﷺ، الْمُشْرِكِينَ لَئِنْ اللَّهُ أَشْهَدَنِي قِتَالًا لِلْمُشْرِكِينَ لَيَرَيْنَّ اللَّهَ مَا أَصْنَعُ، فَلَمَّا كَانَ يَوْمُ أَحَدٍ انْكَشَفَ الْمُسْلِمُونَ، فَقَالَ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَعْتَذِرُ إِلَيْكَ مِمَّا صَنَعَ هَؤُلَاءِ - يَعْنِي: أَصْحَابَهُ - وَأَبْرَأُ إِلَيْكَ مِمَّا جَاءَ بِهِ هَؤُلَاءِ - يَعْنِي: الْمُشْرِكِينَ - ثُمَّ تَقَدَّمَ، فَلَقِيَهُ سَعْدٌ لَأَخْرَاهَا دُونَ أَحَدٍ، فَقَالَ سَعْدٌ: أَنَا مَعَكَ، قَالَ سَعْدٌ: فَلَمْ أَسْتَطِعْ أَنْ أَصْنَعَ مَا صَنَعَ فَوُجِدَ فِيهِ بَضْعٌ وَثَمَانُونَ، مِنْ بَيْنِ ضَرْبَةِ سِيفٍ، وَطَعْنَةٍ بِرُمْحٍ، وَرَمِيَّةٍ بِسَهْمٍ، قَالَ: فَكُنَّا نَقُولُ: فِيهِ وَفِي أَصْحَابِهِ نَزَلَتْ: ﴿مَنْ آمَنَ مِنْ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَلُوا تَبْدِيلًا﴾ (٢٣) لِيَجْزِيَ اللَّهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ إِنْ شَاءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُورًا رَحِيمًا ﴿٢٤﴾ [الأحزاب: 23 - 24] (2).

(1) رواه: البخاري/كتاب: الجهاد والسير/باب: قول الله تعالى: ﴿مَنْ آمَنَ مِنْ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ﴾/برقم: (2595).

(2) رواه: أحمد/كتاب: باقي مسند المكثرين/باب: باقي المسند السابق/برقم: (12612).

إسلامها

ولما أراد الله بالربيع من الخير، فقد سلكت سبيل أخيها أنس بن النضر، فكانت مع الفائزين، وأعرض مالك بن النضر عن طريق أخته وأخيه أنس فكان من الخاسرين، قال تعالى: ﴿مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضِلِّ فَلَنْ يَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُرْشِدًا﴾ [الكهف: 17].

تربّت الربيع في ظلال الإسلام الوارفة، ونهلت من أصفى ينابيع الهداية، وأعذب مواردها رسول الله ﷺ، وكانت من الذين قال الله عنهم في كتابه المبين: ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنْسَكًا لِيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ فَإِلَهُكُمُ إِلَهُ وَاحِدٌ فَلَهُ أَسْلِمُوا وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ﴾ (الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَالصَّادِقِينَ عَلَىٰ مَا أَصَابَهُمْ وَالْمُقِيمِي الصَّلَاةِ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣٥﴾) [الحج: 34 - 35].

أم الشهيد حارثة

وحين سمع رسول الله ﷺ أن قافلة لقريش عائدة من الشام يقودها أبو سفيان بن حرب، وفيها أموال عظيمة لقريش، أمر أصحابه باعتراضها، وأخذ ما فيها تعويضاً عن أموال المسلمين المهاجرين التي تركوها في مكة ثم استولت قريش عليها.

وهبّ المسلمون ملبّين نداء رسول الله ﷺ آملين الفوز بإحدى الحسينين: النصر، أو الشهادة.

وكان أبو سفيان قد بعث طليعة أمامه لتوافيه بأخبار المسلمين، ولما علم أنهم سيعترضون طريق قافلته أرسل رسولا إلى قريش لتنجده، وتنقذ أموالها قبل أن تصبح غنيمة للمسلمين، فدعا أشقى قريش أبو جهل الناس لإدراك القافلة، وحماية الأموال، والقضاء على المسلمين، واستطاع أبو سفيان أن يغيّر طريق القافلة عن طريق المسلمين، حتى وصل بها إلى مكة سالمة، ولما رأت قريش أن أموالها لم تُصب بسوء قالوا: لا حاجة بنا إلى قتال المسلمين، غير أن أبا جهل ركب رأسه، واستسلم لأوهامه، وصمم

على القضاء على المسلمين دون أن يعلم ما يخبئه القدر له من سوء المصير، واستكره الناس على الخروج إلى بدر على الرغم من معارضة الكثيرين له، ولكنهم انصاعوا لإلحاحه، وخرجوا معه كارهين.

وما إن علم رسول الله ﷺ بنية قريش وإعدادها ألف مقاتل للقاء المسلمين في بدر حتى خرج لها في ثلاثمائة وثلاثة عشر من المسلمين، وكان يحمل راية المهاجرين فارس الإسلام علي بن أبي طالب، ويحمل راية الأنصار سعد بن معاذ.

واصطفى الجمعان وقد اقترح سعد بن معاذ ﷺ أن يُبنى لرسول الله ﷺ عريش ليراقب سير المعركة ويوجهها منه؛ واقترح الحباب بن المنذر ﷺ بناء حوض وملاؤه بالماء، وتغوير الآبار حتى يشرب المسلمون، ولا يشرب المشركون فقال له رسول الله ﷺ: «لَقَدْ أَشَرْتَ بِالرَّأْيِ» ثم قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِأَصْحَابِهِ: «هَذَا مَضْرَعُ فُلَانٍ إِنْ شَاءَ اللَّهُ غَدًا - قَالَ: وَيَضَعُ يَدُهُ عَلَى الْأَرْضِ - وَهَذَا مَضْرَعُ فُلَانٍ هَاهُنَا، وَهَذَا مَضْرَعُ فُلَانٍ هَاهُنَا»، قَالَ أَنَسُ: فَمَا مَاطَ⁽¹⁾ أَحَدُهُمْ عَنْ مَوْضِعِ يَدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ⁽²⁾.

وقال رسول الله ﷺ: «اللَّهُمَّ لَا تَقْلِتَنَّ أَبَا جَهْلٍ فِرْعَوْنَ هَذِهِ الْأُمَّةِ، اللَّهُمَّ لَا تَقْلِتَنَّ رَمْعَةَ بَنِي الْأَسْوَدِ»، ثم صف المسلمين كصفوف الصلاة، وأمرهم ألا يحملوا حتى يأمرهم، ثم قال: «إِنْ اِكْتَنَفَكُمُ الْقَوْمُ فَاَنْضَحُوهُمْ عَنْكُمْ بِالنَّبْلِ، وَاسْتَبِقُوا نَبْلَكُمْ - أَيْ لَا تَزْمُوا عَنْ بُغْدٍ - وَلَا تَسْلُوا السُّيُوفَ حَتَّى يَغْشَوْكُمْ»، قَالَ: فَبَرَزَ عُتْبَةُ بْنُ رَبِيعَةَ وَأَخُوهُ شَيْبَةُ بْنُ رَبِيعَةَ وَابْنُهُ الْوَلِيدُ بْنُ عُتْبَةَ فَقَالُوا: مَنْ يُبَارِرُ؟، فَخَرَجَ فِتْيَةٌ مِنَ الْأَنْصَارِ سِتَّةً، فَقَالَ عُتْبَةُ: لَا نُرِيدُ هَؤُلَاءِ، وَلَكِنْ يُبَارِرُنَا مِنْ بَنِي عَمَّانَا مِنْ بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ.

(1) مَا مَاطَ: أَيْ مَا تَنَحَّى.

(2) رواه: مسلم/ كتاب: الجهاد والسير/ باب: غزوة بدر/ برقم: (3330).

فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «قُمْ يَا عَلِيُّ، وَقُمْ يَا حَمْزَةُ، وَقُمْ يَا عُبَيْدَةَ بْنُ الْحَارِثِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ»، فلما قام الثلاثة، ودنوا من فرسان قريش، قالوا لهم: من أنتم؟ قالوا: نحن عُبَيْدَةُ بْنُ الْحَارِثِ، وحمزة بن عبد المطلب، وعلي بن أبي طالب، فقالوا: نعم، أكفاء كرام، فَقَتَلَ اللَّهُ تَعَالَى عُتْبَةَ وَشَيْبَةَ ابْنَيْ رَبِيعَةَ وَالْوَلِيدَ بْنَ عُتْبَةَ، وَجُرِحَ عُبَيْدَةُ، فقد اختلفا ضربتين هو وعُتْبَةُ فَأُخْتُاهُمَا⁽¹⁾ وبادر حمزة وعلي إلى عُتْبَةَ فَأَجْهَزَا عَلَيْهِ، ثم حملا صاحبهما عُبَيْدَةُ بْنُ الْحَارِثِ خلف معسكر المسلمين وقد قطعت رجله.

ثم دارت رحى المعركة، واستبسل المسلمون استبسالاً شديداً، وأظهرها شجاعة فائقة في مناجزة أعداء الله والدين، وكان رسول الله ﷺ يضرع إلى الله، ويستنجزه وعده بالنصر، ويرجوه أن ينصر المسلمين وأشفق أبو بكرٍ على رسول الله ﷺ من كثرة دعائه وضراعه إلى الله لينصره، روى البخاري عَنْ عِكْرِمَةَ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ (رضي الله عنهما) أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ وَهُوَ فِي قُبَّةِ يَوْمٍ بَذَرَ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَنشُدُكَ عَهْدَكَ وَوَعْدَكَ، اللَّهُمَّ إِنْ تَشَاءُ لَا تُغْبِذَ بَعْدَ الْيَوْمِ»، فَأَخَذَ أَبُو بَكْرٍ بِيَدِهِ فَقَالَ: حَسْبُكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَلْحَحْتُ عَلَى رَبِّكَ، وَهُوَ يَثْبُ فِي الدَّرْعِ، فَخَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ يَقْرَأُ قَوْلَهُ تَعَالَى: ﴿سَيَهْرُمُ الْجَمْعُ وَيَوَلُّونَ الذُّبُرَ﴾ (٤٥) بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةُ أَذَى وَأَمْرٌ (٤٦) [القمر: 45 - 46]⁽²⁾.

وأشرق وجه رسول الله ﷺ فقال لأبي بكر: «أَبَشِّرْ يَا أَبَا بَكْرٍ، أَتَاكَ نَصْرُ اللَّهِ، هَذَا هُوَ جِبْرِيلُ أَخَذَ بِعِنَانٍ فَرَسِهِ يَقُودُهُ، عَلَى ثَنَائِيهِ النَّفْعُ»⁽³⁾؛ وفي

(1) أُخْتُاهُمَا: أي جرح كل واحد منهما صاحبه.

(2) رواه: البخاري/كتاب: تفسير القرآن/باب: قَوْلِهِ: ﴿بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةُ أَذَى وَأَمْرٌ﴾ (٤٦) يَغْنِي مِنَ الْمَرَارَةِ/برقم: (4497).

(3) النَّفْعُ: الغبار.

رواية عن ابن عباس رضي الله عنهما أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ يَوْمَ بَذَرٍ: «هَذَا جَنْبِرُ لُ أَخَذَ بِرَأْسِ فَرَسِهِ عَلَيْهِ أَدَاةُ الْحَرْبِ»⁽¹⁾.

وأخذ رسول الله ﷺ يُحَرِّضُ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ، وَيَقُولُ: «وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَا يَقَاتِلُهُمُ الْيَوْمَ رَجُلٌ فَيُقْتَلُ صَابِرًا مُخْتَسِبًا، مُقْبِلًا غَيْرَ مُدْبِرٍ، إِلَّا أَذْخَلَهُ اللَّهُ الْجَنَّةَ» ولما سمع ذلك عُمَيْرُ بْنُ الْحُمَامِ أَخُو بَنِي سَلَمَةَ، وَكَانَتْ فِي يَدِهِ تَمَرَاتٌ يَأْكُلُهَا، قَالَ: بَخٍ بَخٍ، أَفَمَا بَيْنِي وَبَيْنَ أَنْ أَدْخُلَ الْجَنَّةَ، إِلَّا أَنْ يَقْتُلَنِي هَؤُلَاءِ؟!، ثُمَّ قَذَفَ التَّمَرَاتَ مِنْ يَدِهِ، وَاقْتَحَمَ بِسَيْفِهِ الصَّفُوفَ، وَظَلَّ يِقَاتِلُ مُقْبِلًا غَيْرَ مُدْبِرٍ حَتَّى سَقَطَ شَهِيدًا، رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى.

روى الإمام مسلم عن أَبِي بَكْرٍ بْنِ النَّضْرِ بْنِ أَبِي النَّضْرِ، وَهَارُونَ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ، وَمُحَمَّدُ بْنُ رَافِعٍ، وَعَبْدُ بْنُ حُمَيْدٍ - وَالْفَاطِمَةُ مُتَقَارِبَةٌ - قَالُوا: حَدَّثَنَا هَاشِمُ بْنُ الْقَاسِمِ، حَدَّثَنَا سُلَيْمَانُ - وَهُوَ ابْنُ الْمُغِيرَةِ - عَنْ ثَابِتٍ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: بَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بُسَيْسَةَ عَيْنًا يَنْظُرُ مَا صَنَعَتْ عِيرُ أَبِي سُفْيَانَ، فَجَاءَ وَمَا فِي الْبَيْتِ أَحَدٌ غَيْرِي وَغَيْرُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ: لَا أَذْرِي مَا اسْتَشْنَى بَعْضُ نِسَائِهِ، قَالَ: فَحَدَّثَهُ الْحَدِيثَ، قَالَ: فَخَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَتَكَلَّمَ فَقَالَ: «إِنَّ لَنَا طَلِيَّةً، فَمَنْ كَانَ ظَهْرُهُ حَاضِرًا، فَلْيَرْكَبْ مَعَنَا» فَجَعَلَ رِجَالٌ يَسْتَأْذِنُونَهُ فِي ظَهْرَانِهِمْ فِي غُلُوِّ الْمَدِينَةِ، فَقَالَ: «لَا إِلَّا مَنْ كَانَ ظَهْرُهُ حَاضِرًا».

فَانْطَلَقَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَأَصْحَابُهُ حَتَّى سَبَقُوا الْمُشْرِكِينَ إِلَى بَذَرٍ وَجَاءَ الْمُشْرِكُونَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَا يَقْدَمَنَّ أَحَدٌ مِنْكُمْ إِلَى شَيْءٍ حَتَّى أَكُونَ أَنَا دُونَهُ».

فَدَنَا الْمُشْرِكُونَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «قُومُوا إِلَى جَنَّةٍ عَرْضُهَا

(1) رواه: البخاري/كتاب: المغازي/باب: شهود الملائكة بدرًا/برقم: (3694).

السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ» قَالَ: يَقُولُ عُمَيْرُ بْنُ الْحُمَامِ الْأَنْصَارِيُّ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، جَنَّةٌ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ؟ قَالَ: «نَعَمْ» قَالَ: بَخٍ بَخٍ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَا يَخْمِلُكَ عَلَى قَوْلِكَ: بَخٍ بَخٍ؟» قَالَ: لَا وَاللَّهِ، يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِلَّا رَجَاءٌ أَنْ أَكُونَ مِنْ أَهْلِهَا قَالَ: «فَإِنَّكَ مِنْ أَهْلِهَا»، فَأَخْرَجَ تَمَرَاتٍ مِنْ قَرْنِهِ، فَجَعَلَ يَأْكُلُ مِنْهُنَّ، ثُمَّ قَالَ: لَيْتَنِي أَنَا حَيْثُ حَتَّى أَكُلَ تَمَرَاتِي هَذِهِ إِنَّهَا لَحَيَاةٌ طَوِيلَةٌ قَالَ: فَرَمَى بِمَا كَانَ مَعَهُ مِنَ الثَّمَرِ، وَأَخَذَ سَيْفَهُ، وَرَاحَ يَزْتَجِرُ:

رَكُضًا إِلَى اللَّهِ بِغَيْرِ زَادٍ إِلَّا التَّقَى وَعَمَلِ الْمَعَادِ
وَالصَّبْرِ فِي اللَّهِ عَلَى الْجِهَادِ وَكُلُّ زَادٍ عُرْضَةُ النَّفَادِ
غَيْرُ التَّقَى وَالْبِرِّ وَالرَّشَادِ

وَأَفْتَحَمَ عُمَيْرُ صُفُوفَ الْعَدُوِّ، وَاسْتَبَسَلَ فِي قِتَالِهِمْ حَتَّى مَنَّ اللَّهُ عَلَيْهِ بِالشَّهَادَةِ، فَهُوَ لَمْ يَتَرَاجَعَ حَتَّى قُتِلَ⁽¹⁾.

وقال عوف بن الحارث - وهو ابن عفراء - : يا رسول الله، ما يضحك الرب من عبده⁽²⁾؟ قال رسول الله ﷺ: «غَمْسُهُ يَدَهُ فِي الْعَدُوِّ حَاسِرًا»، فنزع درعاً كانت عليه، ففقدفها، ثم أخذ سيفه وأقدم فقاتل القوم حتى قتل.

لقد شحذت كلمات النبي ﷺ، ومشاهد البطولة التي أبداهها عمير وعوف وإخوانهم همّة حارثة فخاض غمار القتال، وأبدى أروع استبسال، حتى أوفى بعهد ذي الجلال، ومات ميتة الأبطال، وتوقّف هدير السيوف، وأسفرت المعركة عن قتل أبي جهل، وأمّية بن خلف، وبقية سفهاء المشركين.

وعاد جند الله إلى المدينة بأكاليل الغار ترفرف على هاماتهم رايات الانتصار، ووقف أهالي الأبطال العائدين لاستقبال أبنائهم وإخوانهم

(1) رواه: مسلم/كتاب: الإمامة/باب: ثبوت الجنة للشهيد/برقم: (3530).

(2) ما يضحك الرب من عبده: أي ما يرضيه منه غاية الرضا.

وأزواجهم، ووقفت الربيع بنت النضر تنظر إلى الوجوه لتكحل عينها بفارسها المقدام، وشبلها الهمام حارثة.

ابنها من أهل الفردوس

ورحم أحد العائدين لهفتها، وأشفق على طول انتظارها، فدنا منها وقال لها: يا أم حارثة، احتسبي ابنك، فقد رأيتهُ يُقتل أمامي! وتماسكت أم حارثة، وكادت الغصة تخنقها، وأخذت تسترجع، وتقول: إنا لله وإنا إليه راجعون، والتمست الصبر، لكن عينها لم تطيعاها، فانهمرت بالدموع.

لقد ربّت الربيع ابنها حارثة لمثل هذه الساعة، وكانت مستعدة لها، ولكن هل انتهت علاقتها به بعد أن رحل عنها وتركها وحيدة؟ إن أمر حارثة لم ينتهِ عند أمه، فثمة شيء يجول في خاطرها، ويلحّ على ضميرها، فهي لن تقرّ عيناً حتى تتعلّمه، لقد علمت أن حارثة قد قُتل، وانقطعت صلته بالحياة، ولكن بقي عليها أن تعرف إلى أين مضى؟ وأين ينتهي به المطاف؟.

ومن يمنحها الجواب الشافي غير رسول الله ﷺ؟ فلتنطلق إليه ليريحها من قلقها، ويهدئ من روعها.

حَدَّثَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدٍ، حَدَّثَنَا مُعَاوِيَةُ بْنُ عَمْرٍو، حَدَّثَنَا أَبُو إِسْحَاقَ، عَنْ حُمَيْدٍ قَالَ: سَمِعْتُ أَنَسًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَقُولُ: أَصِيبَ حَارِثَةُ يَوْمَ بَذْرِ، وَهُوَ غُلَامٌ، فَجَاءَتْ أُمُّهُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَدْ عَرَفْتُ مَنْزِلَةَ حَارِثَةِ مِنِّي فَإِنْ يَكُنْ فِي الْجَنَّةِ أَضْبِرْ وَأَحْتَسِبْ، وَإِنْ تَكُ الْأُخْرَى تَرَى مَا أَضْنَعُ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «وَيْحَاكِ! أَوْ هَبِلَتْ؟! أَوْ جَنَّةٌ وَاحِدَةٌ هِيَ؟ إِنَّهَا جَنَّاتٌ كَثِيرَةٌ، وَإِنَّهُ فِي جَنَّةِ الْفِرْدَوْسِ»⁽¹⁾.

وكان جواب رسول الله ﷺ برداً وسلاماً على قلب الربيع، فحمدت

(1) رواه: البخاري/كتاب: المغازي/باب: فضل من شهد بدرًا/برقم: (3683).

الله على ما أصاب حارثة من الخير، وعادت إلى دارها بعد أن جادت بفلذة كبدها في سبيل الله تعالى، رحمه الله تعالى.

وبعد فترة وقع شجار بين الربيع رضي الله عنه وإحدى النساء فضربتها الربيع وكسرت ثنيئها، وانطلق أهل المرأة إلى رسول الله ﷺ يشكون إليه ما فعلته الربيع بصاحبته.

وجاءت الربيع وأخوها أنس بن النضر إلى رسول الله ﷺ فقال لهما رسول الله ﷺ: «الْقِصَاصُ!»، وروى الحادثة البخاري فقال: إِنَّ الرُّبَيْعَ كَسَرَتْ ثَنِيَّةَ امْرَأَةٍ فَأَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِالْقِصَاصِ فَقَالَ أَنَسٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ لَا تُكْسِرُ ثَنِيَّتَهَا، فَرَضُوا بِالْأَرْضِ وَتَرَكُوا الْقِصَاصَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ مِنْ عِبَادِ اللَّهِ مَنْ لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللَّهِ لَأَبْرَهُ» (1).

لقد أبرَّ الله قسم أنس بن النضر إكراماً لهذه الصابرة المؤمنة المحتسبة أم الشهيد حارثة، لقد صدقت الربيع وابنها ما عاهدا الله عليه، فصدقهما، رحم الله أنس بن النضر شهيداً أحداً، ورحم الله ابن الربيع، ورحم الله الربيع، ومتَّعهم بالجنة يوم تزفُّه إلى الحور العين.



(1) رواه: البخاري/كتاب: تفسير القرآن/باب: قوله تعالى: ﴿وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ﴾/برقم: (4245).